من مظاهر إسهام مدرستي باريس و الشكلانيين الروس في تطور السيميائيات السردية

الأستاذ: رابح بومعزة
قسم الأدب العربي
جامعة محمد خيضر بسكرة

تمهيد :

بظهور النظريات اللسانية، و شيوع مفهوم البنية حسب التصور الذي قدمه رائد البنوية و اللسانيات السويسري فرناند دي سوسير(1857- 1912) " F de saussure" من خلال مؤلفه الذي أصبح يعرف بـ "دروس في اللسانيات العامة" سجل تحول كبير نحو المنهج اللساني في دراسة النص.(1) ذلك أنه مذ لاح قرن هذه النظرية البنوية(2) اتجهت معظم البحوث التي تتعامل مع المعطى الفني ، هذا التوجه الجديد القوي الذي لم يتوقف مده على نحو يتبدي فيه للمتأمل في هذا المد و في تطوره كأن الدراسة الأدبية قد وجدت ضالتها في اللسانيات.(3) ذلك أنه على غرار البحوث اللسانية البحتة اصطبغت بحوث علم النص بالصبغة العالمية، و راحت تتجه نحو سن قوانين عامة تحكم النص بوجه عام و النص الأدبي بوجه خاص دون الارتباط بلغة معينة لتجيب عن سؤال في غاية الدقة و التحديد مؤداه: كيف ينتج النص معناه.(4) حيث إن «الطرح الجديد يركز على الشكل اللغوي في تحديد ماهية الأدب ووظيفة الشعر و يؤكد أن الأساس في الأدب ليس ما يقوله و لكن في كيفية القول ».(5)

وسجل أن هذا المنحنى العالمي قد تكرس في المؤتمرات الدولية لسيميائيات النص التي استقطبت أقطاب عالم السيميائيات.(6)

ولما كانت السيميائيات من أهم المناهج النقدية الغربية الحديثة التي حاولت التفرد في تحليلها النص الأدبي، و بدأت تشق طريقها إلى الجامعات العربية - انطلاقا من أن موضوع السيميائيات الأساسي هو دراسة الأدب ووسائل التعبير الخاصة بالنص(7) فقد

أصبح كثير من الدارسين يؤثر هذا المنهج، و يجتهد في رسم معالمه، و تأصيل مفاهيمه، ونشر قواعده بين الطلاب.[8]

واللافت للانتباه أن الباحثين المولعين بالنظريات التي حاولت ما استطاعت إلى ذلك سبيلا أن تطبق المنهج العلمي. على الدراسات الأدبية قد انقسموا في النظر إلى النص الإبداعي إلى فئتين:

فئة أصحابها اتجاههم وصفي، عدوا النص منغلقا و مستقلا بذاته.[9] و فئة أهلها اتجاههم اجتماعي، انتهوا إلى أنه لا يمكن استكناه النص دون الانفتاح على محيطه وعلى الظروف التي أنتجته. يمثل الفئة الثانية الناقدة البلغارية اللسانياتية " جوليا كرستيفا "التي تعد خير من يمثل اتجاه السيميائيات المادية.[10] حيث إنها تستند في بحثها إلى التوفيق بين اللسانيات والتحليل الماركسي لإيجاد التجاور بين الداخل و الخارج من المعطى التجريبي الداخلي.[11] ذلك أن النص عندها نوعان:

النص الظاهر ممثلا في البنية التي هي موضوع البنوية، والنص التوالدي وهو النص المحلل. وأساس ذلك أن النص ليس نظاما لغويا منجزا مغلقا كما هو الشأن عند البنويين،[12] وإنما هو عدسة مقعرة لمعان و دلالات متغايرة و متباينة و معقدة[13] لتكون "كرتستيفا جوليا" قد قدمت لنا منهجا في تناول النص الأدبي يسير في محورين متعامدين آني وتعاقبي (سا نكروني و دياكروني). يدرس في محوره الأفقي البنية السطحية للنص (العلاقات الأفقية لوحدات النص) و يدرس في محوره العمودي البنية العميقة للنص. وأساس ذلك أن هذه البنية العميقة هي التي تسمح بكشف بعد النص التاريخي بما يحمله من قيم ومعتقدات، و ذوق و مشاعر و أخلاق و موروث ثقافي و تقاليد أدبية [14] للولوج إلى فضائه الداخلي . لأن البنية العميقة – حسب " جوليا " – تتكون من العوامل الخارجية التي لا جرم أنها ساعدت على ظهور المعطى الفني ممثله في الظروف الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية و النفسية...[15]

وقبل أن نعرض لأهم الاتجاهات السيميائية نلفت الانتباه إلى أمر ذي بال مفاده أن المنهج السيميائي حاول جهد أيمانه في أثناء تحليله النص الأدبي أن يتخلص من ثنائية الشكل

والمضمون المبتذلة. و أساس ذلك أنه لا يوجد تركيب اعتباطي مستقل بذاته. حيث إن كل تصور و كل قاعدة هي في الوقت نفسه تركيبه و دلالة. (16)

و لهذا احتفل السيميائياتيون (17) على اختلاف مشاربهم بوظيفة العلامة في تأمين الاتصال بين الأفكار عبر وسيلة الرسائل.

وانطلاقا من هذه الوظيفة المركزية التي تؤديها العلامة الأساس الدال للغة باعتبارها المادة الخام التي لا يمكن الاستغناء عنها عند القول، بني السيميائياتيون منهجهم في تحليل النص الأدبي.

وعلى الرغم من أن هذه العلامة لم ينظر إليها بنظرة موحدة ، بل نظر إليها من جوانب عدة حسب المدارس و الاتجاهات، فإنه يسجل أن تقسيمهم لهذه البنى لم يخرج عن القسمين الآتي ذكرهما : بنية سطحية ، و بنية عميقة ، مع اختلاف في النظرة إلى مفهوم البنية العميقة لهذه المدارس،(18)

و تجدر الإشارة إلى أن للمنهج السيميائي خصائص يتكئ عليها و يتميز بها.

فالخصيصة الأولى تبرز أنه منهج داخلي محايث (19)؛ و يعني ذلك أنه يرتكز على داخل النص باعتبار أن العلاقة التي تقوم بين العمل الأدبي ومحيطه الخارجي – حسب هذا النوع من النقد الذي يتشكل و ينتشر في سياق ثقافي و حضاري موسوم بخصوصيات جوهرية – لا تقوى على تأسيس معنى عميق للنص.(20)

و مبدأ المحايثة يرجع إلى الدراسات اللسانية التي تلح على مبدأ الاستقلالية الذي دعا إليه " دوسوسير ". و أساس ذلك أنه إذا كان موضوع اللسانيات هو الشكل، فإن أي استعانة بالوقائع الخارجية (المرجع) ينبغي أن يقصى لما له من انعكاس سلبي على تجانس الوصف اللغوي.(21)

و ثانية خصائص المنهج السيميائي هي أنه منهج بنوي. حيث إننا حين استقصائنا المصطلحات الفاعلة في هذا التحليل تبدى لنا أن الاهتمام بداخليات النص إن هو إلا توجه نبوي. و الحديث عن البنية و البنية السطحية و البنية العميقة ، و النظام والعلاقات، واللغة و الكلام و الدال و المدلول، و المركب والاختلاف(22) كلهما مصطلحات ازدهرت في النقد البنوي و اكتسبت كثيرا من الفاعلية في السيميائيات .

و لنأخذ مثلا مصطلح " العلاقات " . إذ من المؤكد لدى البنويين و اللسانياتيين عموما أن المعنى لا يقوم إلا بواسطة الاختلاف الذي يفترض وجود نسق مبني من العلاقات بين عناصر عدة، لأن" القراءة السيميائية تنهض على مبدأ التداعي و التقاطع بين العلامات والنصوص.[23] و ما دام النص وسيلة للتواصل. فلا تواصل دون اختلاف ". فالتشبيه مثلا يقوم على المختلفات [24]

أما ثالثة هذه الخصائص فإنها تتبع من طبيعة الموضوع الذي تعنى به السيميائيات الأدبية التي تهتم بالخطاب في بعده السردي.[25] لتكون بذلك مجاوزة حدود الاهتمام بالجملة باعتبارها أصغر وحدة في وحدات الخطاب.[26] و ليس باعتبارها أكبر وحدة لسانية كما تفعل اللسانيات.

و إذا كان قد سجل تباين بين الباحثين فيما يتعلق بتفريغ السيميائيات إلى مدارس أو اتجاهات، فإن الجمهور السائد منهم يكاد يحصرها في اتجاهات أربعة: الاتجاه الأمريكي، الاتجاه الفرنسي، الاتجاه الروسي، والاتجاه الإيطالي.

وسنقصر الكلام في مداخلتنا هذه على المدرستين المشار إليهما آنفا في العنوان. محاولين إبراز مدى إسهامهما الملحوظ من خلال قطبيهما "بارث و غريماس".

تعد مدرسة الشكليين التمهيد الفعلي للدراسات السيميائية (السيميوطيقية في غرب أوربا.[27] وهي حركة أدبية روسية نشطت خلال الثلث الأول من القرن العشرين.[28] و تكونت من اندماج مركزين: أولهما حلقة موسكو اللغوية التي أقامها طلبة الدراسات العليا سنة 1915 برئاسة. جاكبسون. R . Jokobson (1896 - 1982) الذي أثرى اللسانيات بأبحاثه الصوتية و الفونولوجية [29]

أولا – مدرسة الشكلانيين الروس (الاتجاه الروسي):

و ثانيهما جمعية دراسة اللغة الشعرية المختصرة في كلمة أبوباز " opoiaz" التي تبلورت على أيدي ثلة من نقاد الأدب و علماء اللغة في بترسبورغ بليننغراد سنة 1916 [30] كرد فغل على الماركسية في مجال الفن [31] و من أهم عناصرها البارزين شلوفسكي، أوسيب بريك و فلاد يمير بروب هذا الأخير الذي سيأتي الحديث عن إسهامه الكبير .

وقد حصرت هذه الحركة الأدبية اهتمامها في نطاق النص[32]. حيث إن الشكلانيين الروس انبروا لتأسيس نظرية جمالية للأدب مبنيه على استقلالية العمل الإبداعي عن جميع العناصر الخارجية [33] من عوامل نفسية واجتماعية، و مما يكون قد تضافر فكان سببا لوجود النص.[34] و كانت حجتهم أن الدراسات التي تدرس النص من تلك النواحي خارجة عن نطاق صناعة الأدب. [35] إذ أن الأدب عندهم ليس تصويرا لحياة الأدباء أو بيئاتهم أو عصورهم. لتكون الكتابة الأدبية قد صارت هدفا في حد ذاتها. ومن ثم فإن قيمتها تتحدد بما يتوافر عليه العمل من خصائص تجعله أدبا، لأن ميزة الأدب تكمن في شكله الفني. أي في شكل لغته الخاصة وفي كيفية بنائه. ذلك أن غاية الأدب هي إثارة الإحساس بالجمال.[36] و نسوق قولا لجاكبسون الذي تحدث عن الوظائف الست [37] يلخص هذا الاتجاه . فحواه أن موضوع الأدب هو الأدبية ممثلة في العوامل التي تجعله أدبا.[38] حيث إن الشكلانيين الروس يرون أن الكلام يختلف في الناحية الأدبية سواء أكان شعرا أم نثرا عن غيره بشكله .[39]

و لما كانت رؤيتهم للنص الأدبي مبنية على تصور علمي مؤداه وصف الوجود الفعلي للنص – و ليس البحث في أصله و نشأته – دعوا الدارس إلى الاهتمام بشكلية اللغة من حيث هي تراكيب وبنى صرفية و أصوات : ملحين على الاكتفاء بشرح و تحليل الظواهر دون البحث عن الأسباب و الدوافع.[40] «فالنص الذي تكثر فيه الأفعال مثلا يكون أسلوبه موجها بلاشك نحو الأحداث والاهتمام بالبعد الزمني. والذي تكثر فيه الأسماء يكون أسلوبه موجها إلى وصف الذوات».[41]

ونخلص إلى أن أهم مميزات الشكلانية الروسية تتجلى فيما يأتي:

1- البحث عن أدبية النص .

2- شكلنة المضمون، و شكلنة الاختلاف. و ذلك بتركيزها على الاختلاف والانزياح بين الشعر والنثر .

3- استقلالية الأدب عن الإفرازات والحيثيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية .

4- التركيز على التحليل المحايث بغية الوصول إلى كشف الغطاء عن خصائص العمل الأدبي، تجنبا للقراءات الارتسامية الذاتية[42] ووصولا إلى إضفاء الصبغة العلمية والموضوعية لأعمالهم.[43]

و"فلاد بمير بروب" " V. Propp " رائد هذه المدرسة تعتمد دراسته التي أجراها على مجموعة من الحكايات الشعبية الروسية العجيبة على النظرة الهيكلية الوصفية. فبعد وصفه الموضوعي الدقيق لمختلف أنواع القصص الشعبي – وهي صفة اكتسبها من المنهج اللساني – انتهى إلى أن الحكاية هيكل بنيته مركبة يمكن تفكيكها واستنباط العلائق التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين، ومن ثم استنتج ما سماه " المثال الوظائفي " وهو البنية الشكلية التي تولد عددا غير محدد من الحكايات ذات التراكيب والأشكال المختلفة على نحو خلص فيه إلى أن الوظائف مقولبة حسب مسار واحد، ممثلا في بداية حدوث إساءة ، و نهاية ممثلة في إصلاح الضرر.

و يعد قانون التحولات السردية (وظائف السرد) التي استنبطها من دراسته لأشكال الحكاية الشعبية مرجعا لكل دراسة تتناول الأشكال السردية على الرغم من التضخم المسجل على وظائف ذلك النموذج الوظائفي التي بلغت إحدى و ثلاثين وظيفة.[44] و يقصد بالوظيفة عمل الفاعل من حيث معناه في مجرى القصة.[45] فالحدث يعد وظيفة لكونه رهين سلسلة من الأحداث السابقة التي تبرره، والأحداث اللاحقة التي تنتج عنه. و يسجل أن لكل حدث قيمة وظائفيـــة

ما دام يمثل حلقة في سلسلة الأحداث . سواء أكان ذلك الحدث ذا صبغة فعلية أم كلامية.

و من أهم وظائف " بروب " ما يأتي:

1. وظيفة رحيل: كأن يغادر أحد أفراد الأسرة منـــزله.

وأشكال الرحيل متعددة، نحو الذهاب إلى العمل أو النـــزهة أو التجارة أو الحرب أو أداء فريضة الحج. واللافت للانتباه أن موت أحد الأبوين أو كليهما في الحكاية الشعبية يعد رحيلا حتميا.

والغرض الوظائفي من وظيفة رحيل هو إبعاد أشخاص يمنع تواجدهم حصول الإساءة التي هي مبتدأ الحكاية.

2- وظيفة منع: و تلاحظ هذه الوظيفة من خلال صيغتي الأمر و النهي اللتين تردان في الحكاية من نحو: لا تفتح الباب لأحد. و ثمة أشكال مختلفة للمنع تتبـــدى في قالب طلب أو نصيحة .

ويسجل أن هذه الوظيفة سابقة في غالب الأحيان لوظيفة " رحيل "

3- وظيفة استخبار: و فيها يحاول المعتدي أن يحصل على إرشادات تمكنه من اكتشاف المكان الذي يسكنه الضحايا أو الذي توجد به أشياء ثمينة.

4- وظيفة خداع: و فيها يحاول الشرير خداع ضحيته للتمكن منها ، فيتقدم بمظهر مخالف لمظهره العادي. كأن ينقلب الوحش غزالة، و تتنكر الساحرة في شكل عجوز طيبة تقلد صوت الأم أو العمة أو... باستعمال الأساليب الماكرة .

31- وظيفة مكافأة : كأن يتزوج البطل و يرتقي عرش الملك ، أو يحظى بمكافأة مالية ، وقد لا تذكر بعض الحكايات إلا التتويج، و كل الحكايات تنتهي بهذه الوظيفة. ويرى "بروب" أن بنية التحليل في الخطاب القصصي إنما تقوم على مبدأ الثبات والتغير. انطلاقا من أن أسماء الشخصيات هي التي تتغير في حين أن وظائفها تبقى ثابتة قارة. حيث إن السيميائيات تتعامل مع مفهوم الدور " Role " عوضا عن مفهوم الشخصية التي لا يقتصر استعمالها للدلالة على الإنسان فكل ما يقوم بعمل في القصة ، سواء أكان جمادا أم حيا يعد شخصية قصصية.[47] ذلك أننا قد نقف في القصص على شخصيات غير بشرية. وهي ظاهرة منتشرة بكثرة في القصص القرآني ممثلة في شخصيات الملائكة، وشخصية الشيطان، و الشخصيات الحيوانية، والشخصيات المتحولة من العنصر النباتي إلى الحيواني من مثل عصا موسى.[48]

فكل من الأدوار و الشخوص ضروري للقصة. و قد تقوم الشخصية بأكثر من دور. كما أن الدور قد لا يتحقق في شكل شخصية، ويظل دورا يظهر ضمنيا داخل النص.

واللافت للانتباه أن عدم تحقق الأدوار في شخوص مرده إلى كون مثل هذه الأدوار حاملة لرموز معنوية لا تقبل التشخيص، من نحو الحق والظلم والمحبة والكره...[49]

و نحن إذا أمعنا التفكير في المثال الوظائفي نرى أنه يمكن تطبيقه على أية حكاية. لذلك يعد هذا المثال تابعا لمستوى القصصية: إذ أنه لا يلتزم بالتنوعات الحطابية، بل هو بمثابة البنية الشكلية القارة. لأن هناك قاسما علاميا مشتركا متمفصلا أساسا على المستوى اللغوي و سابقا له منطقيا مهما كانت اللغة المختارة للخطاب القصصي.

ولمزيد من التبسيط ينبغي لنا أن نقف مثلا عند وظيفة " حدوث إساءة " التي يمكن أن ترد في أشكال خطابية متنوعة من نحو: اختطاف، سرقة، اغتيال، ضرب مبرح، طرد، سجن... الخ

وعلى كل فالحكاية يوظف فيها متصوران:

1- الانفصال: و هو الذي يمكن أن يحصل على مستوى الشخصيات في حالة فراق أو رحيل أو وفاة. ويمكن أن يحصل على مستوى الشخصية و المكان كأن يغادر البطل مكانا ما.

ويمكن أن يحصل الانفصال بين شخصية وممتلكاتها كأن يسلب من البطل خاتمة السحري.

و تعد وظائف بروب الآتية (رحيل ، انطلاق ، انتقال) أشكالا مختلفة للانفصال.

وفي كل الحالات يترتب على الانفصال حصول افتقار ما يتطلب مساعي من شأنها إصلاح هذا الافتقار، أي استرجاع التوازن المفقود.

2- الاتصال: و يحصل بين شخصيتين أو أكثر أو بين شخصية و ممتلك ثمين ، كأن يسترجع البطل مصوغ زوجته المسلوب. كما يمكن اعتبار وظيفة " عودة " شكلا من أشكال الاتصال.

فإذا وصف البطل في بداية الحكاية بالفقر يصبح في آخر المطاف غنيا ، و بالتالي يمكن استنباط التقابل الزمني الآتي :

- ما قبل ≠ ما بعد
- الوضع الأصلي ≠ الوضع النهائي
- انفصال البطل ≠ اتصال البطل

وحتى تكون المداخلة وفية للعهد الذي قطعته على نفسها و هو جلاء خوافي رؤية وإسهام مدرسة الشكلانيين من خلال قطبها بروب من الأهمية بمكان الوقوف على نموذج عملي لمقاربة سيميائية لقصة " البنات السبع و الغولة " عسى أن تنصهر في بوتقتها رؤية هذا السيميائياتي .

فالحكاية تبدأ بنوعين من الانفصال: مـــمثلا في موت أم الفتيات السبع، و سفر أبيهن إلى مكة فرحيلهما عنصر وظائفي خول للغولة " الفاعل " في هذه الحكاية تحقيق رغبتها المتمثلة في التدخل و التهام الفتيات السبع (فريساتها) عبر الوظيفة الثانية "إساءة" التي تمكنت بواسطتها من إلحاق الأذى بالفتيات الست نتيجة لبلاهتهن. حيث استطاعت أن تخدعهن حين تنكرها في شكل عمتهن محاولة تقليد صوتها – وهذا في المرحلة الأولى – و لما حاولت الغولة الظفر بالفتاة السابعة. بكل ما أوتيت به من خداع و مكر وجدت صعوبة جمة. حيث برزت في شكل فرس بيضاء فانكشف أمرها، و قتلت من طرف زوج هذه الفتاة. ثم ظهرت في شكل شجرة رمان.

و على الرغم من أن الفتاة التي أنجبت طفلا منعت أفراد الأسرة من لمس تلك الشجرة ، إلا أن إصرار ابنها على تناول ثمارها الشهية جعلها تضطر إلى قطف رمانة، فقذف الغصن بحبة رمانة في عين الأم. و تمكنت الغولة التي تم القضاء عليها بواسطة وظيفة المكافأة من إلحاق الأذى بضحيتها (البنت السابعة) من خلال وظيفة " الخداع ".

ثانيا: مدرسة باريس السيميائية " السيميوطيقية ":

يمثلها كل من " ميشال أريفي " (Arrive) " و جان كلود كوكي " jean chaude (coquet)

و كلود شابرول (chabrol) و غريماس (Creimas) . و رواد هذه المدرسة كانوا يهتمون بتحليل الخطابات و الأجناس الأدبية قصد استكشاف القوانين الثابتة المولدة لتمظهرات النصوص العديدة .[50]

و في مساق الحديث عن هذه المدرسة سنركز على أبحاث رئيسها " غريماس " لإبراز إسهامه في تطوير السيميائيات السردية.

لقد انصبت أبحاث " غريماس " على النصوص السردية و الحكاية الخرافية. حيث إنه كان متأثرا بعمل " بروب " في استخلاص وظائف الخرافات الأسطورية. فبعد أن استفاد من ملاحظة " كلود ليفي ستروس " الذي ذهب إلى إمكانية اختزال وظائف " بروب " من حيث العدد، راح يختصر تلك الوظائف و يبسطها لتصبح ستا عوضا عن إحدى و ثلاثين وظيفة.[51] مبينا أن للوظيفة الواحدة أوجها عدة يعدها " بروب " وظائف. وقد جاء تقليص عدد الوظائف تبعا لنظام الفواعل.[52] فالنموذج العاملي المعدل من قبل "غريماس" يرتكز على قاموس من الشخصيات النموذجية يسمى كل منها عاملا. تنتظم هذه الشخصيات في ثلاثة محاور يربط كل منها عاملين على النحو الآتي:

1- محور الرغبة: وينطوي على الفاعل أو الذات الباحثة (sujet)، وعلى الموضوع المبحوث عنه.[53] حيث إن علاقة الفاعلين بموضوعاتهم تستند إلى هذا المحور وفقا لمبدأ الاتصال والانفصال [54] أي أن العلاقة بين الذات والموضوع صراعية جدلية. إذ تتحرك العملية السيميائية " السيميوطيقية " من الامتلاك إلى الفقد في دورة لا تنتهي إلا بتسوية أو تأليف .[55]

2- محور التبليغ : و يشمل المرسل أو الدافع " destinateur " والمرسل إليه أو المستفيد " destinataire " و هنا نسجل ملاحظة لافتة للانتباه مؤداها أن المرسل إليه [56] الخاص قد يكون هو نفسه المرسل الفاعل القائم بدور التبليغ.[57]

3- محور القدرة : و يضم المساعد و المعارض. فبظهور المساندين على مسرح أحداث القصة تتضح ملامح البرنامج السردي القائمة على مبدأ الثنائية. ذلك أن كل برنامج سردي إضافة إلى فاعله الأساس يحاط بمساندين هم معارضون للبرنامج الآخر أو العكس. فالمساندون " الظهراء " يقدمون مساعدات للفاعل في محور الرغبة لتمكينه من القيام بالفعل، بينما يقف المضادون عوائق له [58]. ومرجع ذلك كله إلى أن التحليل السيميائي حسب غريماس ينصب الاهتمام فيه على مستويين: بناء ظاهر، وبناء مضمر. أما البناء الظاهر فتقع العناية فيه بالمستوى اللغوي للنص ممثلا في الأسلوب. و أما البناء الضمني فيقع الاهتمام فيه على وجه الخصوص بالبناء الوظائفي و تحليل العلائق التي بين الفاعلين، مع ملاحظة أن النفاذ إلى البناء الضمني يمر حتما عبر اللغة [59]

وحتى يجلو الأمر لم يكن مناص من أن نعرض لهذا النوع من التحليل في قصة "جهاد المحبين " لجورجي زيدان التي تحلل باسترشاد النموذج العاملي لغريماس على النحو الآتي:

أ- محور الرغبة: الذي يشمل الفاعل و موضوع الفعل (الهدف). يسجل فيه أن سليما هو الفاعل الرئيس، و أن زواجه من سلمى هو موضوع فعله. ذلك أن العلاقة التي تربط بينهما هي الرغبة التي تتمظهر في الرواية عبر انفصاله عنها.

ب- محور التبليغ : و نقف فيه على الدافع (المرسل) و المرسل إليه (المستفيد) فالدافع الذي أوحى لسليم بالعمل و السعي قصد الاقتران بسلمى هو الحب . والمستفيد هو سليم نفسه.

جـ محور القدرة: و ينطوي على المساعد و المعارض. فالمساعدون والظهراء هم أولئك الذين ساعدوا سليما لبلوغ هدفه. و المعارضون نجد على رأسهم وردة أم داود التي تود لو أن ابنتهـا " إميلي " تكون مكان " سلمى ". و من ثم وجدنا أن هذه الوالدة قد انتقلت إلى فاعل منجز لهذا المشروع لفائدة ابنتها. و هو ما يعني تحركها المضاد لاتجاه سليم الذي يحب سلمى.

و الشخصيات النموذجية التي يسمى كل منها عاملا تنتظم في المحاور الثلاثة الرابـط كل منهـا عاملين يمكن إيضاحها حسب الشكل الآتي :

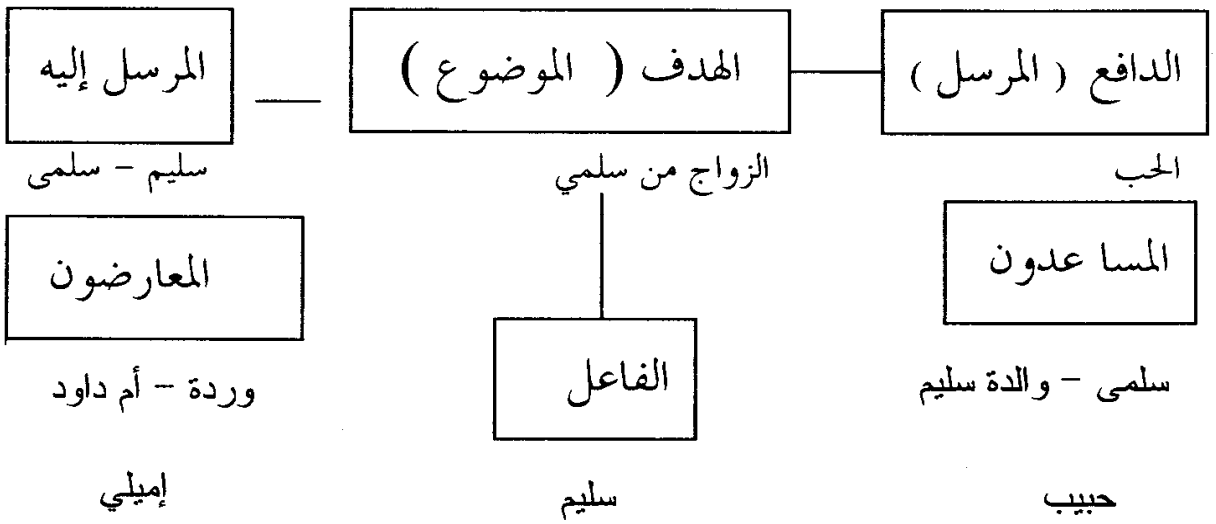

و تجدر الإشارة إلى أن هذا النموذج العاملي المعدل لم يجد بعض الدارسين العرب حرجا في الإفادة منه حين تحليلهم القصص القرآني . و ينطلقون في ذلك من الفكرة التي فحواها أن البنية الشكلية للخرافة – التي استمد منها النموذج العاملي تشبه إلى حد كبير البنية الخارجية للقصة القرآنية . حيث يسجل أن القصص القرآني يمتاز بتنوع شخصيات الرسل من جهة و بثبات وظيفتها المتمثلة في الدعوة إلى الله و عدم استجابة الأقوام لهم من جهة ثانية (60)

ولعل فاعلية هذا النموذج العاملي المعدل تتبدى لنا أكثر من خلال التمثيل لـــها بقصة موسى عليه السلام .(61) المبينة في الرسم الآتي:

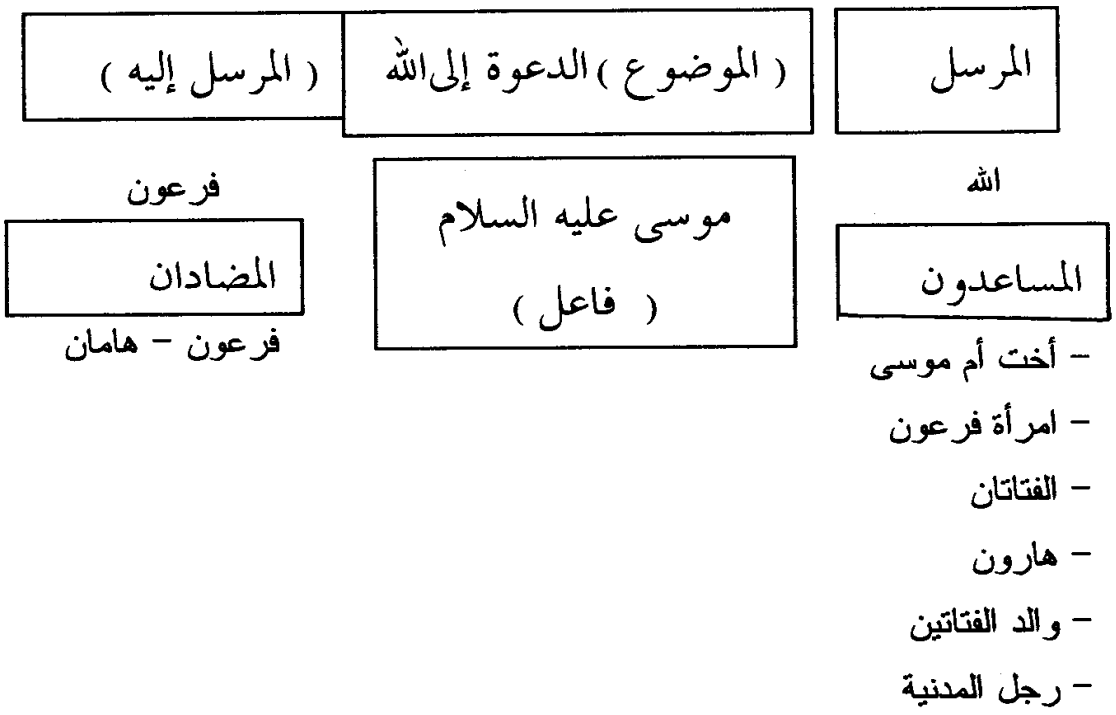

و سنقف الآن على الإسهام الثاني " لغريماس " المتمثل في المربع السيميائي:

لقد تصور غريماس ما سماه " المربع العلامي (السيميائي)" carré sèmiotique " كمثال أصولي لشكلنة المعنى. حيث إنه يرى أن الدلالة لا تستنبط من سطح النص فحسب، و إنما يتم استجلاؤها انطلاقا من نظرة توليدية " approche générative "

ومن ثم حاول ربط صريح النص بباطنه أو بالبنية الدلالية الأصولية . حيث إن الدلالة الأصولية الضمنيـــة هي الجوهـــر الدلالـــي

و علاقتها بالخطاب هي علاقة توليدية ، ذلك أن المعنى ليس معطى ثابتا بل هو قابل للتغير، إذ هو رهين ديمومة النص القصصي. لأن تحويل الدلالات مرده إلى تطور الحكاية و الأحداث في إطار زمني و مكاني ما. و التطورات الطارئة على سلم القيم هي الأخرى وليدة هذا الامتداد الزمنـــي والوظائفي. فالمربع السيميائي يعد أهم عنصر يدرسه المنهج في البنية العميقة باعتباره حوصلة كل التحليل السيميائي. حيث إنه يمثل الشكل الإجمالي لمعاني النص، تسيره علاقات و عمليات. تجتمع هذه العلاقات لتأطير المعنى الكلي على نحو تبدو فيه على شكل علاقات تضاد و تناقض و استتباع تحركها عمليات ملائمة لها. (62)

إذن فالمربع السيميائي هو الذي يتحكم في البنية العميقة حين تحديده لعلاقات التضاد والتناقـــض المولدة للصراع الدينامي الموجود على سطح النص السردي. لقد بينت دراسة ظروف استقصاء المعنى أنه يمكن تصوره كمعطى ثابت منظم على أساس العلاقات الأصولية (تضاد ، تناقض استتباع)، بيد أنه يمكن تصور الدلالة ككيان متحرك ينتج عنه توليد المعاني و تحريك المربع السيميائي. حيث إن التناقض كعلاقة شكلية منطقية (على مستوى الصرف) صالحة لبناء أزواج دلالية متناقضة العناصر يصبح عملية قصصية أو دلالية (على مستوى التركيب). هذه العملية يترتب عليها نفي عنصر و إثبات آخر. وإذا طبقت هذه العملية على مربع علامي مشحون بالقيم ينتج عنها حتما نفي بعض الدلالات الواردة و بروز دلالات أخرى بصيغ الإيجاب و الجزم.(63)

وفي دراسة جادة تتبع فيها زميلي الأستاذ " جلولي العيد " مسار حكايات الأطفال وفق على هذه الحقيقة ، وانتهى إلى أن الذين يقومون بدور البطولة فيها إنما هم شخصيات من عالم الأطفـــال وأن جل هؤلاء الأطفال يمتازون بصفات واحدة و يؤدون أدوارا متشابهة على نحو بدت فيه تلك الحكايات كأنها اجترار للمواقف و تكرار للأحداث و السلوكات.

ذلك أن معظم تلك الحكايات لها البدايات نفسها (طفل يتيم فقير ذكي) و لها النهايات نفسها، (يتغلب الطفل على خصمه و يصبح شخصا غنيا بمساعدة خارجية).[64]

و يمكن رسم هذه العلاقة على الشكل الآتي :

الشكل رقم (1) [67]

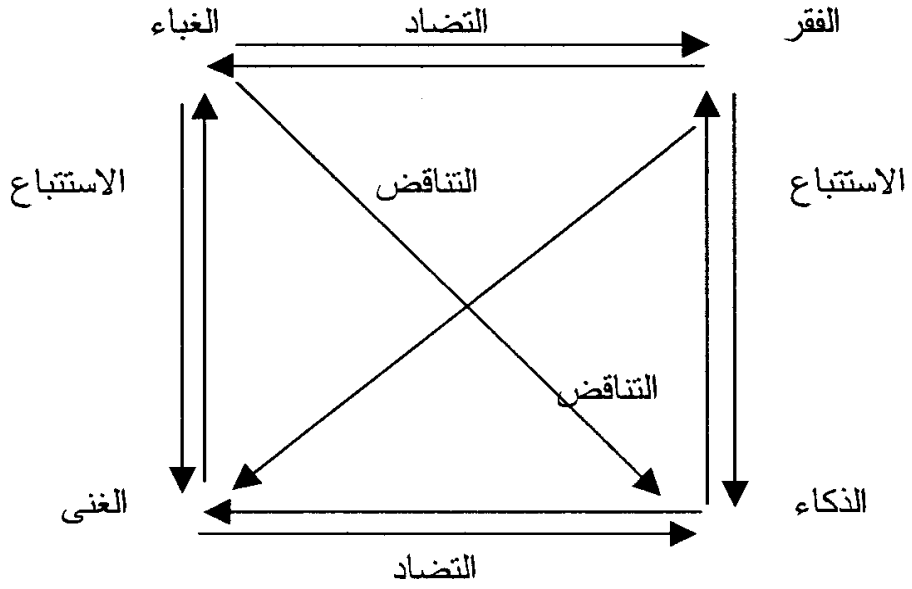

وهذا جدول يبين مسارتلك القصص مذيل برسم من شأنه أن يكشف الغطاءعن تلك العلاقة الجدول الشكل رقم (2) . (65)

عنوان القصة	المؤلف	بطل القصة	ملامح الشخصية و سماتها
علاء الدين و المصباح السحري	محمد مشعالة	علاء الدين	طفل صغير يتيم ، فقير، ذكي يتغلب على الساحرة بمساعدة الجندي يصبح غنيا و يتزوج الأميرة .
سندريلا	محمد مشعالة	سندريلا	طفلة صغيرة يتيمة ذكية تتغلب على أخواتها بمساعدة الجنية، تصبح غنية تتزوج الأمير .
الخياط الصغير الشجاع	منشورات ميموني	خياط صغير	طفل صغير ذكي يتغلب على العملاقين، يصبح غنيا ويتزوج الأميرة.

الشجرة السحرية	محمدالمبارك حجازي	رضوان	طفل يتيم فقير ذكي يتغلب على العملاق و يصبح غنيا .

و نخلص في ختام هذه المداخلة إلى أنه على الرغم من هذه المكتسبات المحققة على يد المنهج السيميائي، فإن السيميائيات لا تقوى وحدها على استكناه النص الأدبي؛ إذ ينبغي أن تتضافر جهودها مع جهود أخرى لتحقيق الهدف المبتغى.

الهوامش

(1) T . Todorov : theorie de la litterature p . 15 .

(2) إن مسألة النسبة إلى « البنية » بسيطة كما بحثها سبويه (180 هـ) في باب الإضافة من كتابه " الكتاب " . فأنت إما أن تقول : " بنيي " (كما تقول في النسبة إلى فتية " فتيي " على القياس . و هو اختيار عمرو بن العلاء) " 154 هـ " و إما أن تقول " بنوي " (كما تقول في النسبة إلى فتية " فتوي " على التخفيف . و هو اختيار يونس بن حبيب " 205 هـ انظر سيبويه الكتاب ، تحقيق هرتويغ ، درنبرع ، باريس ، 1885 ، 2/ 70)

(3) اللسانيات : مصطلح وضعه الدكتور الحاج صالح عبد الرحمان . حملا على رياضيات فلكيات ، طبيعيات ، لأن العرب يستعيضون الألف و التاء في آخر الكلمة بعلم حين قصدهم النسبة إليه .

(4) صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، سلسلة عالم المعرفة ، آب أغسطس ، 1992 ، الكويت ، ص 106 .

(5) الدكتور عمار زعموش : النقد الأدبي المعاصر في الجزائر ، قضاياه و اتجاهاته ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة 2001/2000 ، ص 170 .

(6) رشيد بن مالك : السيميائية و النص الأدبي ، البحث السيميائي المعاصر ، جامعة عنابة نشر و طبع الجاحظية ، الجزائر ، 1996 ، ص 25 ، 26 .

(7) محمد ساري : (النص ، علم النص ، إشكالية التعريف) مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ، معهد اللغة العربية
و آدابها ، ديسمبر 1997 ، العدد 14 ، ص 155 .

(8) عبد العزيز بن عبد الله : (الدلالة المقارنة في خدمة تاريخ الحضارة المقارن) ، مجلة اللسان العربي، الرباط ، 1982 / 1983 ، العدد 23 ، ص 166 .

(9) لمزيد من التوضيح انظر ص 3 – 4 من هذه المقالة .

(10) حيث وظفت مصطلحات تعكس بعدها الماركسي الاشتراكي من مثل المنتج و المنتوج و سواهما .

(11) السيميوطيقا و العنونة : د جميل حمداوي .مجلة عالم الفكر ، ص 92 .

(12) البنيويون من أمثال سوسير ، سابير ، بلومفيلد ، هلمسلف ، ثيرث ، جان بياجيه . انظر عبد الوهاب المسيري : إشكالية التحيز ، سلسلة المنهجية الاسلامية . ط 3 1998 ص 96 ، 97 .

(13) د . فؤاد أبو منصور : النقد البنوي الحديث ، ص 314 .

(14) صلاح فضل : بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 230 .

(15) مساهمة في التعريف بالسيميائية : الحياة الثقافية ، تونس ، 1985 ، العدد 36 ، 37 ، ص 195 .

(16) رأت الشكلانية أن الشكل يمثل كيفية المضمون و ليس إناءه أو غلافه ، فالعلاقة بينهما هي علاقة تكامل . د عمار زعموش ، المرجع السابق ، ص 170 .

(17) انطلاقا من إيثار مصطلح سيميائيات – الذي حمل على لسانيات و طبيعيات – و منه فالباحث في السيميائيات يسمى " سميائياتيا " بإضافة ياء النسبة .

(18) تشكل البنية العميقة عند الاتجاه الأول الذي يمثله" غريماس " القواعد التي يخضع لها العالم السردي. لذلك فالاهتمام ينبغي أن ينصب بصفة خاصة على البناء الوظائفي ، و تحليل العلاقات التي بين القوى الفاعلة في المستويين العمودي و الأفقي انظر مساهمة في التعريف بالسيميائية الحياة الثقافية ص 193 و انظر ص 02 من هذا المقال .

(19) مارسلو أشكال : الاتجاهات السيميولوجية ، ترجمة حميد حمدني و آخرين ، دار إفريقيا ، الشرق، 1989 ، ص 12

(20) فبعد محاولة " تين " جاءت محاولة الداروبين بزعامة برونتيار F. Brunetiere و الوضعيين بزعامة كوستاف لانسوت كل من جهته لتقريب الدراسة الأدبية من المنهج العلمي .

(21) انظر د: عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة ، بيروت، ط2 ، 1979 ، ص 125.

(22) عبد الله ابراهيم و جماعة معرفة الآخر . (مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت ، ط1 1991 ، ص 17 .

(23) محمد مفتاح : دينامية النص ، المركز الثقافي العربي بيروت ، ط2 ، 1990 ، ص 2 .

(24) عبد الجليل منور : المقاربة السيميائية للنص الأدبي ، أصوات و نماذج ، محاضرات الملتقى الوطني الأول ، السمياء

و النص الأدبي ، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة كلية الأداب و العلوم الاجتماعية ، قسم الأدب العربي ، نوفمبر 2000 ص 61 .

(25) محمد ساري : (النص ، علم النص ، إشكالية التعريف) ، مجلة اللغة و الآداب ، جامعة الجزائر ، 1997 ، العدد 14 ص 155 .

(26) سعيد تفطين : تحليل الخطاب الروائي ، الزمن ، السرد ، التبئير ، منشورات المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء 1989 ، ص 18 .

(27) د : جميل حمداوي : اتجاهات السيميولوجيا ، مجلة عالم المعرفة ، ص 93 .

(28) د . عمار زعموش : النقد الأدبي المعاصر في الجزائر ، قضاياه و اتجاهاته ، ص 169 .

(29) د ، جميل حمداوي : اتجاهات السيميولوجيا ، الاتجاه الروسي ، مجلة عالم المعرفة ، ص 93 .

(30) و ، عمار زعموش : المرجع نفسه ، ص 170 .

(31) د ، جميل حمداوي : اتجاهات السيميولوجيا ، الاتجاه الروسي ، مجلة عالم المعرفة ، ص 93 .

(32) الدكتور عدنان علي رضا النحوي : الأسلوب و الأسلوبية بين العلمانية و الأدب الملتزم بالإسلام ، دار النحوي للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1999 ، ص 225 .

(33) د . عمار زعموش : المرجع نفسه ص 170 .

(34) د . عدنان النحوي : المرجع نفسه ، ص 225 .

(35) د ، عدنان النحوي : المرجع نفسه ، ص 225 .

(36) د – عمار زغموش : المرجع نفسه ص 170 .

(37) المرجعية – الانفعالية – التأثيرية – الشعرية (الجمالية) التواصلية – الميتالغوية ." ينظر مجلة عالم الفكر ص 101 .

(38) د . عدنان النحوي : الأسلوب و الأسلوبية ، ص 225 .

(39) الدكتور عبد السلام المسدي : الأسلوب و الأسلوبية ، الدار العربية للكتاب ، ط ، 3 ، د ، ت ، ص 171 – 171 .

(40) الدكتور عبد السلام المسدي : المرجع نفسه ، ص 171 .

(41) الدكتور محمد الصغير بناني : (مفهوم النص عند المنظرين القدماء) مجلة اللغة و الأدب ، جامعة الجزائر ، 1997 ، العدد 12 ، هامش ص 29 ، 93 – 111 .

(42) د – جميل حمداوي : السيميوطيقا و العنونة ، محلة عالم الفكر ، ص 93 ، 94 .

(43) رامان سلون : النظرية الأدبية المعاصرة ، ترجمة سعيد الغانمي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، 1996 ص 31 .

(44) مدلفات سليمة : تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم ، رسالة ما جستير ، جامعة الجزائر ، 1996 / 1997

ص 11 .

(45) Vladimir propp : Morphologie du conte trad . M . Derrida et . T- todorov . Editions du Seuil , Paris , 1970- P . 30

(46) جميل شاكر و سمير المرزوقي : مدخل إلى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الدار التونسية

للنشر ، 1985 ، ص 67 .

(47) Groupe d'entrevernes : Analyse Sémiotique des testes : introduction theorie - pratiques , presse Universitaire de lyon 1984 . p . p 98 . 99

(48) عبد الوهاب النجار: قصص الأنبياء – مكتبة رجاب طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية، الجزائر ، 1987 ص 174 .

(49) عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص 186 .

(50) اتجاهات السيميولوجيا : مجلة عالم الفكر ، ص 91 .

(51) vorir joseph courtes : introduction à la sémiotique narrative et discursive , Preface de A . j . Creimas, classique Hachette 1976 . P . P . 60 - 68 .

(52) مدلفات سليمة : تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم ، ص 11 .

(53) محمد مفتاح : دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 1990 ، ص 12

(54) محمد مفتاح : المرجع نفسه ، ص 12 .

(55) المرجع نفسه ، ص 64 .

(56) مدلفات سليمة : تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم ، ص 165

joseph courtès (57)المرجع السابق ص 67 :

(58) في قصة موسى يسجل أن المرسل إليه الخاص و هو الرسول صلى الله عليه وسلم هو نفسه الفاعل القائم بدور التبليغ للمرسل إليه العام . و هم القوم المؤمنون. مساهمة في التعريف بالسيميائية : الحياة الثقافية ، العدد 36 ، ص 195 .

(59) علي حرب : نقد الحقيقة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط2 ، 1995 ، ص 12 .

(60) مدلفات سليمة : تحليل الخطاب القصصي في القرآن الكريم ، ص 11 .

(61) المرجع نفسه ، ص 164 – 165 – 166 .

(62) المرجع نفسه ، ص 28 .

(63) جميل شاكر : و سمير المرزوقي : المرجع السابق ، ص 87 .

(64) العيد جلولي : القصة الجزائرية الموجهة لأطفال الجزائر ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 1999 ، ص 122 ، 123 .

(67) جلولي العيد : المرجع نفسه ، ص 123 .

(65) العيد جلولي : المرجع نفسه ص 122 ، 123